الشيخ أحمد بن عبدالله آل عبدالقادر*

القسم الأول: مراسلته مع العالم الشيخ عبدالرحمن الزواوي

القسم الثاني: مراسلاته مع العلّامة الشيخ عبدالله البيتوشي

الجزء الأول: في البادية

الجزء الثاني: رسائل البيتوشي

الجزء الثالث: قلة الينّ

الجزء الرابع: قسوة الدهر

الجزء الخامس: ألغاز

الجزء السادس: مقدمة كتاب صرف العناية بشرح الكفاية

القسم الثالث: قصيدة للأديب الشيخ حسين بن مبارك القطيفي

* لقراءة ترجمة الشيخ، يرجى زيارة هذا الرابط

القسم الأول: مراسلته مع العلّامة الشيخ عبدالرحمن الزواوي

هذه قصيدة كتبها العلّامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الزواوي المالكي، نزيل بلد المبرز من الأحساء، يمدح فيها الشيخ أحمد بن عبدالله، ويعتذر إليه من أمر نسب إليه:

مابـــــــال ســـــــلمى لا تنيـــــــل وصـــــــالا ... وتهـــــــز للهجـــــــر المديـــــــد نصـــــــالا

وتـــــــريش نبـــــــل جفونهـــــــا المصـــــــمي لأ عـــــــ ... ـــــــشار القلـــــــوب تجنبـــــــاً ومـــــــلالا

وتحـــــــل عقـــــــد وصـــــــالها مـــــــن بعـــــــد مـــــــا ... قـــــــد أحكمتـــــــه ولـــــــم تـــــــرث حبـــــــالا

أفـــــــلا تصـــــــد وتهجـــــــر المضـــــــنى ولا ... ذنـــــــب هنالـــــــك أم تصـــــــد دلالا

فلقـــــــد كلفـــــــت بهـــــــا وحـــــــامر حبهـــــــا ... قلبـــــــي وصـــــــار عـــــــن الســـــــلو عقـــــــالا

فلهـــــــا أهيـــــــل وعـــــــن هواهـــــــا لا أحـــــــول ... وإن أضـــــــر وقطـــــــع الأوصـــــــالا

ولهـــــــا أولـــــــي وجهتـــــــي متوليـــــــاً ... عـــــــن غيرهـــــــا ولهـــــــا هـــــــوى أتـــــــوالا

وأرى الســـــــلو وإن تنـــــــاءت أو دنـــــــت ... وأطاعـــــــت العـــــــزال فـــــــي محـــــــالا

أتطيـــــــع فـــــــي حســـــــود رد غاظـــــــة ... قربـــــــي فنمـــــــق عنـــــــدها الأقـــــــوالا

وتـــــــذودني عـــــــن ورد كوثرهـــــــا وقـــــــد ... اصـــــــفتني منـــــــه زلالـــــــه السلســـــــالا

وتصـــــــدني أن أجتنـــــــى مـــــــن وجههـــــــا ... بـــــــدر المحاســـــــن نـــــــوره يـــــــتلالا

أو أن أشـــــــيم بريـــــــق ذيـــــــاك اللمـــــــى ... وأهـــــــز أســـــــمر قـــــــدها العســـــــالا

أو اجتنـــــــي مـــــــن ورد وجنتهـــــــا التـــــــي ... جـــــــرى فيهـــــــا مـــــــاء الجمـــــــال وســـــــالا

فبنـــــــور وجنتهـــــــا ومشـــــــرق بحرهـــــــا ... ويفـــــــرع اليـــــــل أدلهـــــــم وطـــــــالا

وبـــــــذلك الخـــــــد الأســـــــيل وفـــــــاتر اللحـــــــظ ... الكحيـــــــل وقـــــــده الأبطـــــــالا

وببـــــــارق الثغـــــــر الشـــــــهي وقامـــــــة ... مثـــــــل القضـــــــيب لهـــــــا الثيـــــــاب أمـــــــالا

وبلـــــين عطـــــف للجـــــوانح عـــــاطف ... لا حلـــــت عـــــن عهـــــدي وإن هـــــو حـــــالا

فلأصـــــــبرن علـــــــى ألـــــــيم جفائـــــــه ... جهـــــدي وأحمـــــل فـــــي الهـــــوى الأثقـــــالا

ولأســـــــفحن بســـــــفح وادي حلـــــــه ... دمعـــــــي الســـــــفوح وأنـــــــدب الأطـــــــلالا

وأخـــــوض مـــــن غمـــــرات وجـــــدي لجـــــة ... ذات اضـــــــطراب موجهـــــــا يتعـــــــالى

وأواصـــــــل الليـــــــل الطويـــــــل مســـــــامراً ... نجـــــم الغـــــرام وأركـــــب الأهـــــوالا

لا غـــــرو أن ســـــمع العـــــدى فـــــي مـــــدنف ... وأهـــــــان موصـــــــول الإخـــــــا وأزالا

فلقـــــد أطـــــاع الحاســـــدين أخـــــو الحجـــــى ... فيمـــــــا نمـــــــاه كـــــــذوبهم فأخـــــــالا

أعنـــــي بـــــه النـــــدب الهمـــــام أخـــــا النـــــدى ... الماجـــــــــد المتقـــــــــدم المفضـــــــــالا

مـــــن فـــــاق أهـــــل زمانـــــه وســـــماهم ... حلمـــــــاً وســـــــمتاً فائقـــــــاً وكمـــــــالا

نحـــــل الألـــــى صـــــحبوا النبـــــي وقاســـــموا ... أصـــــــحابه الأوطـــــــان والأمـــــــوالا

نصـــــــروا وآووا وارتضـــــــاهم ربهـــــــم ... وعلـــــــيهم أثنـــــــى الإلـــــــه تعـــــــالى

زيـــــن المحافـــــل صـــــدرها ومشـــــارها ... يصـــــغي بإذعـــــان إلـــــى ماقـــــالا

دســـــت الرياســـــة قـــــد حـــــلا بحلولـــــه ... فيـــــــه وزاد مهابـــــــة وجـــــــلالا

شـــــمس المعـــــارف والمحاســـــن والعلـــــى ... ظهـــــرت ولـــــم يـــــك نورهـــــا أفـــــالا

بحـــــر العلـــــوم فلـــــيس يـــــدرك قعـــــره ... حلـــــو المناهـــــل مـــــده يتـــــوالى

أبـــــدى لنـــــا درر البيـــــان نظيـــــه ... وأفـــــاض منـــــه علـــــى العطـــــاش ســـــجالا

ذو الفهـــــم والـــــذهن الـــــذي مـــــن شـــــأنه ... فـــــك العـــــويص وفتحـــــه الاقفـــــالا

يـــــا ابـــــن الألـــــى حـــــازوا الفخـــــار وذللـــــوا ... صـــــعب المعـــــاني والعلـــــى إذلالا

إنـــــي ســـــمعت بأنـــــه قـــــد رابكـــــم ... قـــــول تقولـــــه الحســـــود ظـــــلالا

وعـــــزاه عنـــــي آفكـــــاً ومبـــــدلا ... منـــــي الجميـــــل بمـــــا يســـــيء مقـــــالا

وأتـــــاكم مـــــن ربكـــــم فتبينـــــوا ... مـــــع كـــــون هـــــذا فاســـــقاً محتـــــالا

وعـــــرفتم عهـــــدي القـــــديم وصـــــحبتي ... وصـــــفاء ود لا يـــــزال زلالا

فبـــــأي شـــــيء قـــــد تحقـــــق صـــــدقه ... فنفـــــي المحقـــــق عنـــــدكم وأزالا

مـــــا والـــــذي حـــــج الحجـــــيج لبيتـــــه ... يرجـــــون منـــــه تفضـــــلا ونـــــوالا

مـــــا صـــــار منـــــي مـــــا يقـــــول ولـــــم أكـــــن ... ســـــبباً ولا ممـــــن عليـــــه تمـــــالا

فاصـــــفح وســـــامح لا عـــــدمتك موليـــــا ... صـــــدق المـــــودة والاخـــــا افضـــــالا

واســـــلم ودم فـــــي رغـــــد عـــــيش واســـــع الـــــ ... أرجـــــاء لا تخشـــــى عليـــــه زوالا

فأجابه الشيخ أحمد بن عبد الله بهذه القصيدة:

مـــــا والـــــذي رزق الحجـــــى وأنـــــالا ... كـــــل الأنـــــام تفضـــــلا ونـــــوالا

وبنـــــى الســـــماوات العلـــــى وطحـــــا طبـــــا ... ق الأرض حكمـــــة وجـــــلالا

وحمـــــى قلـــــوب ذوي المـــــودة والصـــــفا ... عـــــن رســـــم شـــــكل ينـــــتج الأدخـــــالا

وأعـــــاذ ملتجئـــــا إليـــــه وطالبـــــاً ... منـــــه الاقالـــــة فـــــاجتبى وأقـــــالا

ماحلـــــت عـــــن ســـــنن المـــــودة والإخـــــا ... قســـــماً ولا أرضـــــى التحـــــول حـــــالا

أو ملـــــت عـــــن ود قـــــديم راســـــخ ... قلبـــــي عليـــــه مـــــع الفـــــؤاد تمـــــالا

حاشـــــى لقلبـــــي أن يميـــــل لعـــــاذل ... قـــــد خـــــاض فـــــي بحـــــر الشـــــقاق رجـــــالا

إنـــــي إذا لعـــــديم رأي فـــــي الهـــــوى ... وصـــــبابتي حكـــــت الســـــراب زوالا

إن رمـــــت عـــــن ســـــعدى ســـــلوا أو نـــــوى ... لاســـــاعدت يمنـــــى يـــــدي شـــــمالا

أأطيـــــع فيهـــــا الكاشـــــحين وأنثنـــــى ... عـــــن حبهـــــا أعظـــــم بـــــذاك ضـــــلالا

فبحقهـــــا وبحبهـــــا وبحســـــنها ... لـــــم أرع للواشـــــي المزيـــــف بـــــالا

لا أنثنـــــي لا أنتهـــــي عـــــن حبهـــــا ... لـــــو ذقـــــت فيـــــه إهانـــــة وكـــــلالا

يـــــا ســـــيدا حـــــاز المكـــــارم والتقـــــى ... والجـــــود والاحســـــان والافضـــــالا

والعلـــــم والحلـــــم الـــــذي قدشـــــابه ... بشـــــجاعة فســـــما بـــــذاك وطـــــالا

يـــــا بهجـــــة الـــــدنيا ويـــــا جبـــــل النهـــــى ... مـــــن ســـــادة كـــــانوا بـــــذاك جبـــــالا

إكـــــرامكم حـــــق علينـــــا واجـــــب ... وبـــــه أتـــــى أمـــــر الإلـــــه تعـــــالى

وبجيـــــدكم نلنـــــا الهـــــدى بعـــــد العمـــــى ... وبحـــــبكم فقنـــــا نهـــــى وكمـــــالا

أهـــــديت لـــــي مـــــن نظـــــم فيـــــك خريـــــدة ... بكـــــراً تمـــــيس تأنقـــــاً ودلالا

معســـــولة الألفـــــاظ قـــــد هـــــذبتها ... فأنـــــت كعقـــــد لآلـــــيء يـــــتلالا

محبوبـــــة قـــــد أبرزتهـــــا فكـــــرة ... وقـــــادة كســـــت الزمـــــان جمـــــالا

لاغـــــرو إن كانـــــت نتيجـــــة فـــــارس ... جـــــاءت لـــــه عصـــــم الـــــروي ذلالا

مضـــــمونها عـــــذر جلـــــي واضـــــح ... مـــــن ناصـــــح قـــــد دان فيـــــك وغـــــالى

مستضـــــلع مـــــن حـــــبكم مســـــتطلع ... لـــــولانكم ولنحـــــو حبـــــك مـــــالا

قـــــد جـــــرد العضـــــب الجـــــريء يـــــذب عنـــــ ... ـــــكم ذا الســـــفاهة إن أواش نبـــــالا

ولـــــئن قـــــد غـــــركم متشـــــدق ... بمقـــــال ســـــوء بـــــئس ذاك مقـــــالا

فـــــــالله حســـــــبي منـــــــه يـــــــدفع شـــــــره ... ويثيبـــــــــه ممـــــــــا جنـــــــــاه وبـــــــــالا

كـــــــــذب وبهتـــــــــان وغيبـــــــــة غافـــــــــل ... وتهافـــــــــت يرجـــــــــو بـــــــــذاك جـــــــــدالا

والعـــــــذر مـــــــنكم واضـــــــح يـــــــا ســـــــيدي ... لكـــــــــن تثبـــــــــتكم أعـــــــــز منـــــــــالا

فـــــــالله عـــــــز يقـــــــول إن جـــــــا فاســـــــق ... فتبينـــــــــوا أعظـــــــــم بـــــــــذاك مثـــــــــالا

والفضـــــــــل أنـــــــــتم أهلـــــــــه ومقـــــــــامكم ... عـــــــن كـــــــل شـــــــيء فـــــــي الزمـــــــان تعـــــــالى

واســـــــــلم ودم فـــــــــي نعمـــــــــة وكفايـــــــــة ... وحمايـــــــــــه ووقايـــــــــــة تتـــــــــــوالى

مـــــــــا هجـــــــــت ورق الحمـــــــــام متيمـــــــــاً ... ورجـــــــــا المحـــــــــب مـــــــــن الحبيـــــــــب وصـــــــــالا

وأديـــــــم تكـــــــرار الصـــــــلاة علـــــــى الـــــــذي ... نســـــــــخ الضـــــــــلال بشـــــــــرعه وأزالا

القسم الثاني: مراسلاته مع العلّامة الشيخ عبدالله البيتوشي

الجزء الأول: في البادية

كان الشيخ أحمد آل عبد القادر في البادية لبعض مهامه، فأرسل هذه القصيدة إلى الشيخ عبدالله البيتوشي يمدحه:

ســـــــاجع الـــــــورق علـــــــى الأغصـــــــان ... أطـــــــرب الخـــــــالي واجتـــــــاح المعنـــــــى

صـــــــادحاً يمـــــــرح فـــــــي أفنانـــــــه ... كلمـــــــا زاد غرامـــــــاً زاد فنـــــــا

ألهـــــــب الشـــــــوق بأحشـــــــائي ومـــــــا ... فـــــــارق الربـــــــع ولا الإلـــــــف الأغنـــــــا

أذكـــــــر الصـــــــب عهـــــــوداً بـــــــالحمى ... وليـــــــيلات بهـــــــا قلبـــــــي تهنـــــــى

ونـــــــدامى كالأســـــــاطين لهـــــــم ... ســـــــمر يحلـــــــو إذا مـــــــا الليـــــــل جنـــــــا

لهـــــــم فـــــــي العلـــــــم أقـــــــدام رســـــــت ... وعلـــــــيهم بـــــــاهر الفضـــــــل أبنـــــــا

ليـــــــت شـــــــعري والأمـــــــاني رقـــــــى ... هـــــــل تـــــــراهم مقلتـــــــي بـــــــالقرب منـــــــا

أو تـــــــرى مـــــــن قـــــــد رآهـــــــم لحظـــــــة ... إنـــــــي أرضـــــــى بمـــــــا مـــــــنهم تســـــــنى

كلمـــــــا لاح بريـــــــق نحـــــــوهم ... جـــــــذب القلـــــــب هـــــــوى الربـــــــع فحنـــــــا

يـــــــا أصـــــــحاب بهجـــــــر خيمـــــــوا ... لـــــــم أبـــــــن مـــــــن بعـــــــدكم للضـــــــحك ســـــــنا

إن تغيبـــــــوا عـــــــن عيـــــــوني فلكـــــــم ... فـــــــي ســـــــويدا القلـــــــب قـــــــد شـــــــيدت كنـــــــا

او يحـــــــول القفـــــــر مـــــــن دونكـــــــم ... فخيـــــــال مـــــــنكم يمســـــــي لـــــــدنا

صـــــــار شـــــــغلي بعـــــــدكم همـــــــا رســـــــى ... لـــــــم يزايلنـــــــي وإن بنـــــــتم وبنـــــــا

أتمنـــــــاكم وهيهـــــــات المنـــــــى ... عـــــــز مـــــــا أرجـــــــوه مـــــــن دهـــــــري وأنـــــــى؟

مـــــــا لقلبـــــــي لـــــــم يفارقـــــــه الجـــــــوى ... وعيـــــــوني دمعهـــــــا لـــــــم يتـــــــأنى

وفـــــــؤادي كلمـــــــا هبـــــــت صـــــــبا ... فرحتنـــــــي خلتـــــــه فـــــــي الحـــــــال جنـــــــا

أغرامـــــــــــاً وبعـــــــــــاداً وضـــــــــــنى ... يـــــا لقـــــومي لفتـــــى لـــــم يطمئنـــــا!

خانـــــــه الصـــــبر وأعيـــــاه الهـــــوى ... فـــــإذا الليـــــل دجـــــى حـــــن وأنـــــا

وإذا نـــــــام المعـــــــافى خاليـــــــاً ... تأتـــــه الأفكـــــار مـــــن ثـــــم وهنـــــا

أضـــــمر الشـــــوق وأخفـــــى وجـــــده ... بالحشـــــا خـــــوف عـــــدو يتجنـــــى

وعـــــذول جـــــد يرجـــــو ســـــلوتي ... يحســـــب الســـــلوان لـــــي ســـــلوى ومنـــــا

غـــــره منـــــي نهـــــاء ثابـــــت ... وجنـــــان لـــــيس يـــــدري مـــــا أجنـــــا

مـــــا درى أن الهـــــوى قـــــد عزنـــــي ... وعلـــــى أحشـــــائي الغـــــارات شـــــنا

كـــــل يـــــوم أطلـــــب الصـــــلح فلـــــم ... ألقـــــه إلا اعتلـــــى الخيـــــل وعنـــــا

لـــــيس يرضـــــيه ســـــوى قتـــــل امـــــرىءٍ ... مالـــــه مـــــن ناصـــــر حـــــام فمنـــــا

يـــــا زمـــــاني كـــــف عنـــــا إننـــــا ... بـــــالفتى الكـــــردي فـــــي الحـــــرب اســـــتعنا

ماجـــــد قـــــد حـــــاز أصـــــناف العـــــلا ... ألمعـــــي لـــــم يكـــــد يخطـــــىء ظنـــــا

ذو ســـــنانٍ وبنـــــانٍ راعـــــفٍ ... واكـــــفٍ إن أحجـــــم الغيـــــث وضـــــنا

كـــــل معنـــــىً رائـــــقٍ فـــــي لفظـــــه ... كزنـــــاد فيـــــه لمـــــع النـــــار كنـــــا

ذبـــــج الـــــنظم بزاهـــــي نظمـــــه ... فـــــالجنى الـــــداني لنـــــا منـــــه تـــــدنى

يـــــا إمامـــــا صـــــار بـــــدرا للـــــورى ... فـــــي دجـــــى الليـــــل إن البـــــدر اســـــتكنا

أبلـــــغ التســـــليم عنـــــي خلـــــة ... فـــــرض الحـــــب لهـــــم منـــــي وســـــنا

هـــــم فـــــؤادي ومـــــرادي وهـــــم ... نصـــــب عينـــــي حيثمـــــا كـــــانوا وكنـــــا

فـــــي ربـــــى هجـــــر أقـــــاموا صـــــوراً وأرى أشـــــباحهم منـــــي تـــــدني

فســـــقى الله ربـــــى هجـــــر حيـــــاً يـــــنفض الـــــودق مريعـــــاً مرجحنـــــا

ينبـــــت الزهـــــر بأكتـــــاف الصـــــرى وربـــــى الحـــــزم غـــــدت روضـــــاً أغنـــــا

والعـــــذيب العـــــذب شـــــرقي الحمـــــى عمـــــه الوبـــــل فـــــأرواه وهنـــــا

تلـــــك أطـــــلال لنـــــا لـــــم أنســـــها مـــــاجرت روحـــــي وهـــــز الـــــريح فنـــــا

أســـــأل الـــــرحمن فيهـــــا رجعـــــة تغســـــل الهـــــم الـــــذي للقلـــــب عنـــــا

وصـــــلاة الله تغشـــــى المصـــــطفى مـــــن بـــــه الله هـــــدى إنســـــاً وجنـــــا

وكـــــذاك الآل والأصـــــحاب مـــــا ســـــاجع الـــــورق علـــــى الأغصـــــان غنـــــى

فأجابه الشيخ عبدالله البيتوشي بكتاباً يقول فيه:

"لم أزل منذ نأى مولانا ـ أمد الله ظلاله ـ أتسلى نهاراً برؤية جميل آثاره في دياره كما أغنى التيمم بالصعيد، وأشكو إلى طيف خياله بعد مزاره كما يشكو العميد إلى العميد، وكلما تفرقت حواسي من الجوى كتشتت الآراء في الأهواء، وتلعبت بي أيدي النوى كتلعب الأفعال بالأسماء، وعضت نوائب البين على جناني كما يعض على الغارب ، القتب، بات على بعض الروابي عسى أن يخف ما بي مما أضناني كما انتمى راعٍ في الغزو منتصب. إلى أن ورد بكتاب من ذلك الجنان بع أن تشوقت إليه كتشوق المريض إلى الطبيب ،فمحا استلامي له سورة، الاكتئاب محو استلام الركن للذنوب ،وارتاحت إلى مرآه العين ، كما ارتاحت البكر الهدى إلى البعل ،ودب البرء فيما كنت أجد من الأين ، كما دب في الرمل الفريق من النمل ، وألفيته منظوماً يفتر عن اللؤلؤ المنثور من المعاني كما الغيث مفتر عن البرق والرعد ، وقد أحكمت خلاله البلاغة التي هى من أرفع المباني كما أحكمت في النظم واسطة العقد . فأعرضت عجزاً عن جوابه زماناً ممتدا، فلما لم أجد للمحيى عن رد التحية بدا ، قلت ـ وأظن ذلك المولى يقول لي : لقد جئت شيئا إدا:" :

هاجـــــه الوجـــــد إلـــــى نجـــــد فأنـــــا وتمنـــــى الأبـــــرق الفـــــرد وأنـــــى ؟

يـــــا لـــــلاحٍ مغرمـــــاً نـــــاح متـــــى حـــــن رعـــــد وأخـــــو ورقـــــاء غنـــــى

أيهـــــا الغـــــادي إلـــــى وادي الغضـــــا نلـــــت مـــــن حســـــن القضـــــا مـــــا تتمنـــــى

إن تـــــر الظبـــــي الأغـــــن الأحـــــور الـــــ ـــــمصطفى مصـــــطافه الـــــروض الأغنـــــا

قـــل لـــه عـــن نـــازحٍ صـــب تـــرى ... دمعـــه صـــبا متـــى مـــا البـــرق عنـــا

مـــن لمســـحور فـــؤادٍ ســـحرا ... ولمجنـــون إذا مـــا الليـــل جنـــا

هـــائم مـــا زال ســـكران ومـــا ... شـــرب الكـــأس ولاجـــاور دنـــا

واجـــب القلـــب رأى المكـــروه مـــن ... عـــذلٍ فـــي لحظـــك المســـنون ســـنا

مـــات مـــن نـــازع الشـــوق ومـــا ... نـــال فـــي حبـــك يومـــاً مـــا تمنـــى

طالمـــا كـــان يمنيـــه الهـــوى ... أن يـــرى مصـــرعه فيـــه فمنـــا

وهـــن العظـــم وأوهـــى جلـــدي ... عظـــم مـــا بـــي فـــارحم المضـــنى المعنـــى

ذقـــت فيـــك الصـــبر مـــن صـــبري وقـــد ... كنـــت خلـــواً حـــالي العـــيش مهنـــا

أدن مشـــتاقاً يـــذيب الحجـــر الصـــا ... د أدنـــى وهـــيجٍ فيـــك أجنـــا

مـــن فـــي أســـري بالفـــك وإن ... تـــر قتلـــي أره ســـلوى ومنـــا

ولـــئن ترضـــى بـــإذلالي لـــم ... يـــرض لـــي مـــن صـــار لـــي كهفـــا وكنـــا

أحمـــد الأوحـــد مـــن صـــار لنـــا ... جنـــة إن قلـــب الـــدهر المجنـــا

حامـــل الكـــل عـــن الكـــل صـــفو ... ح عـــن الخـــل بمـــا منـــه تســـنى

زبـــدة الأنصـــار أخلقـــه بـــأن ... صـــار بـــين الخلـــق بالمجـــد يكنـــى

بالحجـــا حـــاز المعـــالي وحـــده ... لا العـــوالي فـــارتقى فنـــا ففنـــا

نـــال شـــأو العلـــم طفـــلا والنـــدى ... يافعـــاً والحـــزم والـــرأي مســـنا

ذو حيـــاء وحبـــاً إن بالحيـــا ... ضـــنت الســـحب فلـــن يخلـــف ظنـــا

كـــم كفـــى حـــراً وقنـــا همـــة ... فغـــدا الحـــر لـــه بـــالجود قنـــا

طـــــوق الأعنـــــاق منـــــا مـــــن أيـــــا د ثقـــــال مـــــا يـــــرى فـــــيهن منـــــا

فـــــارس عنـــــا حـــــوى بكـــــر المعـــــانى ابتكـــــاراً حـــــين خيـــــل الفكـــــر عنـــــا

ســـــار إن ســـــار لـــــواء الـــــنظم والنثـــــ ـــــر طـــــرا وأبنـــــا إن أبنـــــا

يـــــا إمامـــــاً أممـــــت أينقـــــه أرض نجـــــد راضـــــياً بالنـــــأي عنـــــا

جاءنـــــا مـــــن غـــــرر الـــــنظم لكـــــم مـــــا يحـــــاكى روضـــــة بـــــالمزن غنـــــا

رمـــــل الأبحـــــر لكـــــن دره عـــــدد الرمـــــل فـــــرادى ومثنـــــى

فتباشـــــير التهـــــاني أقبلـــــت بعـــــد طـــــول اليـــــأس مـــــن هنـــــا وهنـــــا

هالنـــــا هـــــيلكم تلـــــك المعـــــا نـــــي علينـــــا فـــــاقنعوا بـــــالوزن منـــــا

ســـــيدي مـــــا زال وجـــــدي فـــــيكم بـــــين أحشـــــائي مقيمـــــاً مســـــتكنا

مـــــا تـــــرى فـــــي مغـــــرم مهمـــــا ســـــرت نســـــمة نجديـــــة هـــــام وحنـــــا

أينمـــــا كنـــــتم فـــــأنتم ســـــادة ونـــــرى أنـــــا عبيـــــد حيـــــث كنـــــا

هجـــــر مـــــن هجـــــركم هـــــاجرة مـــــا تـــــرى فيهـــــا لجنـــــب مطمئنـــــا

فكأنـــــا مـــــا وردنـــــا معكـــــم عـــــد لهـــــوٍ وكأنـــــا مـــــا عطنـــــا

وكأنـــــا مـــــا رأينـــــا ذلـــــك الأنـــــ ـــــس يومـــــاً وكأنـــــا وكأنـــــا

كـــــم وكـــــم شـــــن علـــــى الهـــــم مـــــن جيشـــــه الغـــــارات حتـــــى صـــــرت شـــــنا

إن يعـــــد ســـــن شـــــبابي بعـــــدكم لـــــي غضـــــا لـــــم يـــــبن مـــــن فـــــي ســـــنا

عفـــــت فـــــي نـــــأيكم كـــــاس الطـــــلا ولعـــــاب الغيـــــد والعـــــود المرنـــــا

فعســـــــى نشـــــــكر أيـــــــدي نجـــــــب ... قـــــــد شـــــــكونا إذ بأقتابـــــــك بنـــــــا

فتـــــــرد الـــــــروح فـــــــي الميـــــــت أســـــــى ... ويـــــــرد العقـــــــل فـــــــي مـــــــن كـــــــان جنـــــــا

هاكهـــــــا منـــــــي صـــــــعاباً شـــــــرداً ... دن لـــــــي كرهـــــــا ومـــــــا كـــــــدن يـــــــدنا

طاويـــــــات كســـــــجل الكتـــــــب تطـــــــ ... ـــــــوي إلـــــــيكم يفعـــــــاً ةالمطمئنـــــــا

أوقـــــــرت مـــــــن درر المـــــــدح فـــــــلا ... غـــــــرو أن ســـــــرن بطـــــــاء تتـــــــأنى

دم خلـــــــوداً فـــــــي جنـــــــان الانـــــــس والـــــــ ... أمـــــــن مـــــــن شـــــــر الـــــــورى إنســـــــا وجنـــــــا

وصـــــــلاة الله تغشـــــــى مـــــــن لنـــــــا ... ســـــــنن الخيـــــــر وســـــــيف الحـــــــق ســـــــنا

وكـــــــذا أصـــــــحابه مـــــــا وامـــــــق ... هاجـــــــه الوجـــــــد إلـــــــى نجـــــــد فأنـــــــا

الجزء الثاني: رسائل البيتوشي

هذه قصيدة للعلّامة البيتوشي، يمدح فيها الشيخ أحمد بن عبدالله:

هـــــذي المنـــــازل لكـــــن أيـــــن لبناهـــــا ... والقلـــــب هـــــام بلبنـــــي لا بمغناهـــــا

مـــــا كـــــان للعشـــــق أخبـــــار مســـــطرة ... بـــــين البريـــــة لولانـــــا ولولاهـــــا

مـــــا كنـــــت أهفـــــو إلـــــى شـــــمس ولا قمـــــر ... لـــــولا رجـــــاء التســـــلي عـــــن محياهـــــا

كـــــم ليلـــــة ســـــرت فـــــي جـــــنح الظـــــلام ولا ... لنـــــا دليـــــل إليهـــــا غيـــــر رياهـــــا

علـــــى حـــــروف براهـــــا الجهـــــد ماتركـــــت ... غيـــــر الأســـــامي لهـــــا الأفعـــــال مســـــراها

جبنـــــا لهـــــا كـــــل هجـــــل لـــــو تمـــــر بهـــــا ... مســـــع الريـــــاح لماتـــــت دون أدناهـــــا

كأننـــــا فـــــي ضـــــمير الليـــــل خافيـــــة ... فـــــي صـــــدر أوفرنـــــا عقـــــلا فأخفاهـــــا

أعـــــالي النـــــور! هـــــذا بـــــرق ســـــارية ... أم البريـــــق لنـــــا أبـــــدت ثناياهـــــا

أضـــــرمت يـــــا بـــــرق نـــــارا طالمـــــا اســـــتعرت ... بـــــين الأضـــــالع مأواهـــــا ومثواهـــــا

يـــــا طيـــــب ليلـــــة بـــــالأبرقين مضـــــت ... كـــــالبرق ولا رجعـــــت إن كنـــــت أنســـــاها

كمـــــا عليهـــــا وهـــــل يجـــــدي تأوهنـــــا ... وطالمـــــا قلـــــت مرتاحـــــا بهـــــا واهـــــا

إلام فـــــي طلـــــب الآمـــــال يـــــدفعني ... وجـــــه البســـــيطة يمناهـــــا ويســـــراها

والله لـــــم ترضـــــني الـــــدنيا ولـــــو قـــــدمي ... فـــــوق الثريـــــا ونعلـــــي فـــــوق جوزاهـــــا

ولا اســـــتبتني لياليهـــــا بزخرفهـــــا ... ولـــــو حبـــــت فـــــوق مـــــا الإنســـــان يهواهـــــا

أســـــتغفر الله حاشـــــا وصـــــل ســـــيدنا ... أزكـــــى الخليقـــــة أخلاقـــــا وأذكاهـــــا

أريـــــد أحمـــــدها إســـــما وأجودهـــــا ... وســـــما وأمجـــــدها عنـــــدي وأســـــماها

غصـــــن النـــــدى دوحـــــة الأنصـــــار دوحتـــــه ... أعـــــلا البريـــــة أوصـــــافا وأغلاهـــــا

قـــــويم رأي لـــــو أن الله كلفـــــه ... طـــــرق الســـــماوات فكـــــرا كـــــاد يرقاهـــــا

بـــــدر ولـــــيس لـــــه نقـــــص يحاولـــــه ... شـــــمس ولـــــيس ســـــحاب الجـــــو يغشـــــاها

شـــــادي مبـــــاني العـــــلا حلمـــــا ومكرمـــــة ... مـــــردي العـــــوادي بـــــأخلاق تحلاهـــــا

كـــــم مـــــن ســـــفينة آمـــــال مســـــيرة ... جـــــودي كفيـــــه بـــــين الخلـــــق مرســـــاها

وأزمـــــة حيـــــر الألبـــــاب شـــــدتها ... لكنـــــه بجميـــــل الـــــرأي جلاهـــــا

محـــــرر الفضـــــل فـــــي منهـــــاج ســـــيرته ... حـــــاوي نهايـــــة أخـــــلاق تلقاهـــــا

قـــــاموس مجـــــد لنـــــا المصـــــباح طلعتـــــه ... بـــــل تحفـــــه جاعـــــل الأنـــــوار أهـــــداها

مغنـــــى اللبيـــــب بتوضـــــيح البيـــــان لـــــه ... بمنطـــــق فـــــي المعـــــاني نـــــال أقصـــــاها

بـــــــديع وضـــــــع كـــــــأن الله صـــــــوره كنـــــــز الأخـــــــلا وبحـــــــرا دون أعـــــــداها

الـــــوارث المجـــــد فـــــي فتيـــــان انتشـــــرت فينـــــا فضـــــائلهم والله أفشـــــاها

باهـــــت بهـــــم طيبـــــة فضـــــلا ومنقبـــــة علـــــى البســـــيطة علياهـــــا وســـــفلاها

الموقـــــدي نـــــار حـــــرب للأولـــــى كفـــــروا لنصـــــرة الـــــدين قـــــد خاضـــــوا منایاهـــــا

يـــا ابـــن الأولـــى غيـــر طـــرق المجـــد مـــا عرفـــوا لازلـــت أســـما الـــورى فضـــلا وأســـناها

لـــــولا رجـــــاء لقـــــاكم والمـــــدى قـــــذف لطـــــاش بـــــي غربـــــة قـــــد جـــــاس بلوهـــــا

وفـــــوق ذاك أمـــــور لســـــت أذكرهـــــا وكيـــــف للـــــدهر لا يســـــطيع ذكراهـــــا

فاســـــلم دوامـــــا مـــــا أطـــــاع الله ذو رمـــــق منـــــا ومـــــا ث زوار مطاياهـــــا

وهذه أبيات للشيخ البيتوشي، ضمّنها في كتاب للشيخ أحمد بن عبدالله عندما همّ للذهاب للبادية:

أيـــــا ويـــــح صـــــب لا يـــــزال يروعـــــه نـــــذير النـــــوى مـــــن مـــــتهم ثـــــم منجـــــد

ضـــــنى لـــــم يـــــدع مـــــن الهـــــوى مـــــن رســـــومه ســـــوى نفـــــس فـــــي طمـــــره متـــــردد

تناجـــــت غـــــوادي الطيـــــر يـــــا ليتهـــــا غـــــدت فريســـــة أقنـــــى ذي مخالـــــب معتـــــد

وقالـــــت: غـــــداً ينـــــأى أبـــــو المجـــــد أحمـــــد ولا صـــــبر لـــــي يومـــــاً علـــــى نـــــأي أحمـــــد

فتـــــى إن يكـــــن رضـــــوى يحمـــــل بعـــــض مـــــا يعانيـــــه فـــــي العليـــــاء والمجـــــد ينـــــاد

وهـــــل أنـــــا إلا الكـــــف، وهـــــو أنامـــــل ولا خيـــــر مـــــن بعـــــد الأنامـــــل فـــــي اليـــــد

فمـــــن لـــــي وأنـــــى للفـــــدتى كـــــل بغيـــــة بحـــــابس هـــــذا اليـــــوم أو دافـــــع الغـــــد

فيـــــا يـــــوم لا تـــــدبر، لـــــك الخيـــــر كلـــــه ويـــــا غـــــد لا تقبـــــل، وعـــــش عـــــيش مقعـــــد

علـــــى أنـــــه لا شـــــك ذلـــــك مـــــدبر وأنـــــي علـــــي إقبـــــال هـــــذا بمرصـــــد

وقـــــد يرتجـــــي مـــــا لا يـــــراه، ينالـــــه ... حليـــف الجـــوى، واهـــي القـــوى والتجلـــد

فـــــإن ســـــار، فالبـــــدر المنيـــــر أخـــــوه ... لـــم يـــزل كـــل ليـــل فـــي مبيـــت مجـــدد

توســـــلت بالبيـــــت العتيـــــق ومعشـــــر ... هنالـــــك شـــــعث راكعـــــين وســـــجد

إلـــــى الله أن يكفـــــي الحبيـــــب الـــــذي نـــــأى ... لقـــاء الـــردى فـــي كـــل مهـــوى ومصـــعد

ويرجـــــع فـــــي عـــــز منيـــــع، ومنصـــــب ... رفيـــــع، وإقبـــــال وســـــيع، وســـــؤدد

فتشـــــقى حـــــزازات النفـــــوس وتشـــــتفى ... حـــــرارة أنفـــــاس وغلـــــة أكبـــــد

وللبيتوشي أيضاً:

الهجـــــر أقتـــــل مـــــا علمـــــت فواصـــــلي ... مـــــاذا التجـــــافي منـــــك يـــــا أبنـــــة وائـــــل

إن تصـــــرمي حبلـــــي فلســـــت بصـــــارم ... أو حلـــــت عـــــن عهـــــدي فلســـــت بحائـــــل

أو تنكـــــري شـــــيئا ألـــــم بلمتـــــي ... (فكمـــــا علمـــــت تكرمـــــي وشـــــمائلي)

يـــــا أخـــــت ذهـــــل ملـــــت عمـــــن لـــــم يمـــــل ... وذهلـــــت عمـــــن لـــــيس عنـــــك بـــــذاهل

إن كنـــــت مـــــن أغنـــــى الحســـــان ملاحـــــة ... طـــــراً فـــــإني اليـــــوم أحـــــوج ســـــائل

أمســـــي وأصـــــبح والأســـــى حشـــــو الحشـــــا ... بـــــين الســـــهاد وبـــــين عـــــذل العـــــاذل

لـــــم أنـــــس مـــــا قـــــد قلـــــت للأتـــــراب إذ ... تمشـــــي للظعـــــائن فـــــي خبـــــوت حلاحـــــل

مـــــن ذا الفتـــــى البـــــادي لنـــــا فـــــي بردتـــــي ... ســـــيما الشـــــباب ولـــــون أشـــــيب ناحـــــل

أغريـــــب دار أم لـــــه فـــــي وائـــــل ... نســـــب يـــــؤول إليـــــه دون قبائـــــل

وأراه مقتـــــول الغـــــرام فمـــــن بـــــه ... ولأنـــــت أدرى العـــــالمين بقـــــاتلي

يـــا مـــن حكـــاه البـــان فـــي لـــين وفـــي تـــرف كمـــا زعمـــوه نـــور خمائـــل

لـــولاك عنســـي لـــم تبـــت بعقالهـــا تشـــكو وجاهـــا فـــي سباســـب عاقـــل

بـــين الصـــدى والبـــوم والغـــيلان والعـــرج الجيـــاع وكـــل أطلـــس خاتـــل

حيـــث القطـــا لا تهتـــدي لفراخهـــا والـــريح لـــم تـــأمن طـــروق غوائـــل

باعـــدت فيـــك أقـــاربي وغششـــت فيـــك مناصـــحي وقطعـــت فيـــك مواصـــلي

وأكلـــت صـــمغ الطلـــح فيـــك وحبـــذا ووردت مـــر مـــوارد ومناهـــل

وألفـــت محتـــرش الضـــباب ولـــم يكـــن غيـــر القصـــور الشـــامخات منـــازلي

وبـــذلت جهـــدي فـــي رضـــاك ولـــم أفـــز ممـــا أؤمـــل مـــن هـــواك بطائـــل

إن الـــذي يرجـــو الوفـــاء مـــن الـــدمى كـــالمرتجي لـــدوام ظـــل زائـــل

مـــن يمتـــدح بـــين الأنـــام ببخلـــه هيهـــات أن تحظـــى لديـــه بنائـــل

أشـــمت بـــي الواشـــين والحســـاد واللـــوام لـــي فـــي لـــوعتي وعـــواذلي

وتركـــت ذلـــي بعـــد عـــزي فـــي الهـــوى مـــثلا بكـــل مشـــاهد ومحافـــل

فلأرمـــين قلبـــا غريـــراً مـــا ســـلا عمـــا وعـــدت لـــه بـــدارة ماســـل

ولأعـــدلن ركـــاب شـــوقي عنـــك يـــا مـــن لـــيس فـــي شـــرع الغـــرام بعـــادل

ولأغمضـــن عـــن برقـــك الطـــرف الـــذي مـــازال يهمـــي كالســـحاب الهامـــل

ولألـــوين عـــن اللـــوى مـــا دام قـــو مـــك فـــي مرابعـــه صـــدور رواحـــل

لا عـــود منـــي يـــا أمامـــة فيـــك مـــا شـــاهدت مـــولاي الإمـــام الفاضـــل

عـــم النـــوال أخـــو العلـــوم أبـــو العـــلا والجـــد خـــدن الجـــد لـــيس بهـــازل

هـــو أحمـــد الـــذهب المصـــفى فـــرع مـــن ساســـوا القبائـــل بالقنـــا وقنابـــل

قبـــل النبـــي وحينمـــا نصـــروه بـــالبيض الرقـــاق وكـــل أســـمر ذابـــل

قـــاري الصـــحائف والصـــفاح فمنـــه إحيـــاء العلـــوم وقتـــل دهـــر ماحـــل

تلقـــى العفـــاة المحـــدقين بربعـــه فـــي الجـــدب كالأصـــداف حـــول الســـاحل

ومـــداده للحـــب مـــن ذوب اللمـــى والحـــب شـــبه لعـــاب أســـود ســـائل

قـــل للـــذي يرجـــو محامـــد أحمـــد أيـــن الـــدراري مـــن يـــد المتطـــاول

نســـب أصـــيل فـــي شـــمائل مثلمـــا رقـــت شـــمول مـــن نســـيم أصـــائل

وبـــديع نظـــم مثـــل مـــا خلـــع الربيـــ ـــع علـــى الروابـــي مـــن نفـــيس غلائـــل

ورزيـــن حلـــم لـــو حوتـــه الأرض مـــا خفنـــا عليهـــا مـــن طـــروق زلازل

ونجـــوم آراء لـــه كـــم قـــد جلـــت عنـــا ديـــاجي خطـــب ليـــل هائـــل

ويمينـــه فـــي الجـــود نهـــر ســـائل مـــا إن رأينـــا منـــه نهـــر الســـائل

يـــا نـــازلا أعلـــى الهضـــاب إذا ارتـــدت أنواؤهـــا بـــرداء الأم باخـــل

عجـــز الأواخـــر عـــن لحوقـــك فـــي العلـــى لمـــا جـــروا وســـبقت شـــأو أوائـــل

فتوركـــوا الأعجـــاز حـــين رأوك قـــد ملكـــت كـــل غـــوارب وكواهـــل

مـــن تعيـــه الفرســـان فـــي جولانهـــا بطرادهـــا يقنـــع بمشـــية راجـــل

ومـــذ أصـــطفيت علـــى الجيـــاد رواحـــلا فضـــل الرغـــاء علـــى صـــهيل الصـــاهل

للبـــدو كـــل الفخـــر إن تلـــك فـــيهم أو فـــي القـــرى فلهـــن كـــل فضـــائل

يـــا ليـــت شـــعري هـــل غفلـــت عـــن الـــذي ... مـــــا إن يـــــزال فلـــــيس عنـــــك بغافـــــل

وأنـــــا الـــــوفي وشـــــر مـــــن واليتـــــه ... مـــــن وده لـــــك كالخضـــــاب الناصـــــل

أرضـــــاك فـــــي الحـــــالين: ســـــخطك والرضـــــى ... أهـــــواك فـــــي يـــــومي نـــــوى وتواصـــــل

لكننـــــي مـــــذ غبـــــت عنـــــي ســـــيدي ... لا غبـــــــــت إلا كنـــــــــت أول آيـــــــــل

مازلـــــــت مســـــــلوب القـــــــوى خلـــــــف الفـــــــراش رهـــــــين قـــــــد حـــــــوادث ونـــــــوازل

ضـــــعفت فمـــــن لـــــي أن أخـــــط لســـــيدي ... شـــــكواي عـــــن حمـــــل اليـــــراع أنـــــاملي

إن الفتـــــــى غـــــــرض ومـــــــا أيامـــــــه ... إلا النبـــــــال ودهـــــــره كالنابـــــــل

لـــــم يعصـــــم العصـــــم النفـــــار مـــــن الأذى ... ولـــــو انتحـــــين إلـــــى أعـــــز معاقـــــل

كـــــلا ولا الآوجـــــام مـــــن وقـــــع الـــــردى ... تغنـــــي عـــــن الليـــــث الهصـــــور الباســـــل

والعفـــــو منـــــك ومنـــــي التقصـــــير فـــــي الـــــ ... ـــــحالات فاســـــترني بعفـــــو شـــــامل

جاءتـــــك تخطـــــر فـــــي البـــــرى وخلاخـــــل ... وغلائـــــل مثـــــل القضـــــيب المائـــــل

خجـــــلا تعثـــــر فـــــي فضـــــول مروطهـــــا ... ترنـــــو إليـــــك بلحـــــظ طـــــرف الخـــــاذل

حســـــن الحضـــــارة فـــــي قنـــــاع بـــــداوة ... جمعـــــت فقابلهـــــا بوجـــــه القابـــــل

ولـــــئن تجـــــد لكمالهـــــا نقصـــــا فمـــــا ... غيـــــر الآلـــــه إذا نظـــــرت كامـــــل

لازلـــــت عـــــز الجـــــار معمـــــور الـــــديا ... ر مكـــــين حـــــظ قبلـــــة للآمـــــل

مـــــاحن رعـــــد أو بكـــــت ســـــحب علـــــى ... ميـــــت النبـــــات يســـــح دمـــــع هاطـــــل

وهذه قصيدة للشيخ البيتوشي، أرسلها للشيخ أحمد، يهنئه بعيد الفطر:

يـــا أحمـــد المـــأمول يـــا خيـــر مـــن ... مهـــد طـــرق المجـــد تمهيـــداً

وخيـــر مـــن ألقـــى إليـــه الحجـــى ... والعلـــم والحلـــم المقاليـــداً

هـــذا هـــلال الفطـــر راف، وقـــد ... بـــدد شـــمل الصـــوم تبديـــداً

كحربـــة أوْدهـــا الطعـــن فـــي ... صـــدر أعـــدائك تأويـــداً

أو منجـــل غـــادر ربـــي بـــه ... عمـــر الـــذي يقـــلاك محصـــوداً

فاشـــرب علـــى رغـــم زمـــان مضـــى ... يهـــدد الشـــراب تهديـــداً

لا خائفـــاً مـــن حـــاكم صـــولة ... ولا مـــن العـــاذل تفنيـــداً

مقبـــول مـــا شـــيدت فـــي شـــهر الـــ ... ـــماضي مـــن الخيـــرات تشـــييداً

مغـــرداً طيـــر المســـرات فـــي ... أفنـــان إقبالـــك تغريـــداً

تفيـــد مـــن والاك مـــا يشـــتهي ... وتتـــرك الحاســـد مفـــؤوداً

وليهنـــك العيـــد ولـــو أننـــي ... أنصـــفت هنيـــت بـــك العيـــداً

فـــأي يـــوم أنـــت فيـــه يـــرى ... لســـائر الأيـــام محســـوداً

أيـــار لـــولا ورده لـــم يكـــن ... دون شـــهور العـــام محمـــوداً

جمعـــت للأنفـــس طيبـــا وإطـــ ... ـــراباً كمـــا قـــد ضـــمن العـــوداً

عـــودك مبـــري مـــن الجـــود أم ... مـــن عـــودك البـــاري بـــرى الجـــوداً

خلفـــة مـــاء الـــورد عـــن ورده ... خلفـــت أجـــدادك مجـــدوداً

تـــروي أحاديـــث النـــدى عـــنهم ... مصـــححاً تلـــك الأســـانيداً

وفقت لولا صحبة المصطفى ... أولئك الصيد الأماجيدا

أجلت طرفي بين أهل الورى ... وجبت في تطوافي البيدا

فلم أجد أحفى بكسب الثنا ... منك ولا أبذل مجهودا

عزمك يوماً لا يرى مغمداً ... ولم يزل كورك مشدوداً

أنت لنا روح ولا فضل للـ ... ـجسم بدون الروح معدوداً

ما مهمل اللفظ مفيدا ولو ... ردد بالألحان ترديداً

هل جاحد فضلك إلا الذي ... لم يؤت توفيقاً وتسديداً

إن لم ير الأكمه شمس الضحى ... فليس فضل الشمس مجحوداً

يا سيدا منطقه لؤلؤ ... يروق محلولاً ومعقوداً

وخلقه السهل النسيم الذي ... باكر روضاً طل أو جيدا

وطبعه ماء الحياة الذي ... يجدد الأعمار تجديداً

هاك ثناء مثلما يخضل الـ ... ـروض من الطل وتمجيداً

ما فيه من عيب سوى أنه ... جنب تطويلا وتعقيداً

من حافظ الرد القديم الذي ... أكده الإخلاص تأكيداً

هاجر في حبك أحبابه ... طرا، وأهلا، مواليداً

ما إن تراه في الهوى ملحدا ... حتى يرى في الرمس ملحوداً

فطالما من غير من رأى ... طوق منه جودك الجيدا

جود بلا وعد ولا خير في ... من تتقاضاه المواعيداً

عـــش فـــي أمـــان مـــن صـــروف الـــردى ... مخـــــــولاً عـــــــزا وتأييـــــــداً

والمجـــــــد لازال، وظـــــــل العلـــــــى ... عليـــــــك مقصـــــــوداً وممـــــــدوداً

ترفـــــل فـــــي ذيـــــل المنـــــى والهنـــــا ... مـــــا دام عيـــــد عاقبـــــاً عيـــــداً

وللشيخ البيتوشي قصيدة أرسلها للشيخ أحمد بن عبدالله وهو في البادية مع بني خالد، يرد فيه على وشاه أرادو أن يوقعوا بينه وبين الشيخ أحمد، قال فيها:

هـــــم الحواســـــد إرجـــــاف وإفســـــاد ... يـــــارب، لا عـــــاش نمـــــام وحســـــاد

لا عـــيش إلا الهـــوى لـــولا التـــنغص مـــن ... ســـعي الوشـــاة، وللأشـــياء أضـــداد

لـــم يـــبلعن مغـــرم مـــن حجبـــه أمـــلا ... إلا وجـــذوا عنـــاق الوصـــل، أوكـــادوا

ولا رأوا مـــن معـــين الوصـــل صـــافية ... إلا لهـــم ثـــم إصـــدار وإيـــراد

ســـقياً لأيامنـــا اللائـــي لنـــا ســـلفت ... بـــالواديين، وللأوقـــات إســـعاد

حيـــث الأقـــاحي بـــذات الأيـــك ترشـــفنا ... طلالـــه فـــي جـــوى الأحشـــاء اضـــماد

أيـــام تســـعد ســـعدى غيـــر باخلـــة ... ولا ينهنههـــا عـــذر وإبعـــاد

تســـري إلـــي، ونـــار الحـــي خامـــدة ... وتنثنـــي ولـــنجم الصـــبح إيقـــاد

أغـــازل الـــريم منهـــا وهـــو ذو حـــور ... وأعطـــف البـــان منهـــا وهـــو ميـــاد

وأشـــرب الصـــرف مـــن معســـول ريقتهـــا ... ممســـك العـــرف لـــم تمزحـــه أنكـــاد

حتـــى عـــدت بيننـــا للـــدهر عاديـــة ... والـــدهر قـــديما ببـــث الشـــمل معتـــاد

نـــأى بآنســـة الحيـــين لابعـــدت ... إفـــك الوشـــاة فتاويـــب وإســـآد

بثـــت إلـــى عتابـــاً وهـــي نازحـــة ... كعقـــد در تحلـــت منـــه أجيـــاد

أو روضـــــة مـــــن ريـــــاض الحـــــزن زاهيـــــة ... تهـــــش مـــــن نشـــــرها المســـــكي رواد

كأنهـــــا الخلـــــد فيـــــه الطيـــــر ســـــاجعة ... وحورهـــــا زهـــــر غصـــــن وأوراد

وذاك مـــــن زخـــــرف القـــــول الـــــذي ســـــمعت ... ممـــــن لهـــــم عـــــن طريـــــق الحـــــق إلحـــــاد

لا كنـــــت إن صـــــدقوا ممـــــن عنـــــت لهـــــم ... مـــــن شـــــامخ العـــــز والعليـــــاء أطـــــواد

ولا انتميـــــت لأســـــلاف لهـــــم ضـــــربت ... فـــــوق الســـــماكين أطنـــــاب وأوتـــــاد

أمـــــا درت أننـــــي مـــــن لـــــم تـــــدب لـــــه ... عقـــــارب، وحســـــان الخلـــــق لـــــي عـــــاد

أفـــــي لخلـــــي فـــــي حـــــالي رضـــــى وقلـــــى ... ســـــيان مقتـــــرب عنـــــدي وإبعـــــاد

مـــــا حـــــدث عـــــن شـــــيمي الغـــــر الألـــــى شـــــهدت ... أهـــــل الهـــــوى لـــــي بهـــــا يومـــــاً وإن حـــــادوا

فمـــــا لهـــــا وهـــــي أدرى بـــــي تصـــــيخ إلـــــي ... قـــــوم عـــــدا دارهـــــم حلـــــم وإرشـــــاد

هـــــلا أبـــــت كإبـــــائي عـــــن زخـــــارفهم ... يـــــوم الثنيـــــة إن قلـــــوا وإن زادوا

رمـــــوا خـــــداعي بمـــــا كـــــادوا ومـــــا ظفـــــروا ... والصـــــب عـــــن عـــــذل العـــــذال صـــــداد

يـــــا أخـــــت ســـــعد ســـــقى داراً حللـــــت بهـــــا ... مـــــزن يزجيـــــه إبـــــراق وإرعـــــاد

قاســـــيت فيـــــك معـــــادة الغـــــواة لهـــــم ... علـــــى حشـــــو الحشـــــا ضـــــغن وأحقـــــاد

هـــــواي حيـــــث تحمـــــل الـــــيعملات بكـــــم ... ولـــــيس للقلـــــب عـــــن مغنـــــاك مرتـــــاد

فـــــي القلـــــب منـــــي، كمـــــا تهـــــوين صـــــدق هـــــوى ... وفـــــي الحيـــــازيم للأشـــــواق تـــــرداد

عنـــــدي إذا لـــــم أشـــــم مـــــنكم بـــــروق رضـــــى ... لا الشـــــام شـــــام ولا بغـــــداد بغـــــداد

والله مـــــا ملـــــت عـــــن لهـــــج الغـــــرام بكـــــم ... غيـــــري مـــــن النـــــاس للســـــلوان ينقـــــاد

بـــئس الخليـــل الـــذي يغويـــه عـــن طـــرق الـــ ـــــــوفاء للخـــــــل أنـــــــذاك وأوغـــــــاد

عـــــــدول دعـــــــواي أجفـــــــان مجرحـــــــة لـــــــي مـــــــن يـــــــزكيهم هـــــــم وتســـــــهاد

فليـــــــت قلبـــــــك فـــــــي جنبـــــــي آونـــــــة لتعلمـــــــي حـــــــال مـــــــن أضـــــــناه إبعـــــــاد

يـــــا مـــــن نـــــأت بفـــــؤادي حينمـــــا وخـــــدت بهـــــا المطايـــــا وللأنفـــــاس تصـــــعاد

قضـــــى الإلـــــه بمـــــا أمضـــــى فهـــــل لـــــك فـــــي شـــــاك تمـــــادي فملـــــت منـــــه عـــــواد

بـــــي منـــــك مـــــا لوعـــــدا بالصـــــوم لا نصـــــدعت أو بالجبـــــال لســـــالت منـــــه أوهـــــاد

عـــــودي، فـــــلا زلـــــت بالإحســـــان عائـــــدة علـــــى الكئيـــــب، فخيـــــر النـــــاس مـــــن عـــــادوا

الجزء الثالث: قلة الينّ

هذه قصيدة للشيخ عبدالله البيتوشي، أرسلها إلى الشيخ أحمد بن عبدالله ، يشكو قلة وجود البن في بيته :

لـــــي شـــــهر إن لـــــم يكـــــن شـــــهران منـــــذ فارقـــــت لـــــذة الفنجـــــان

ســـــاء خلقـــــي مـــــن بعـــــده ولقـــــد كنـــــت لمـــــا كنـــــت ذا ســـــجايا حســـــان

ولقـــــد ضـــــاق بـــــي مكـــــاني حتـــــى ضـــــاق صـــــدري عـــــن احتمـــــال جنـــــاني

يـــــا خليلـــــي عشـــــتما أبلغـــــا عنـــــي النـــــ ـــــــى حـــــالتي التـــــي تريـــــان

قهـــــوتي أزرق الميـــــاه وهـــــم يســـــ ـــــــقون منهـــــا حمـــــراء كـــــالأرجوان

رب ليـــــل أطـــــار نـــــومي هـــــوا ويـــــن بيـــــوتٍ أخيـــــراً قبيـــــل الأذان

فيـــــه أشـــــكو بثـــــي وحزنـــــي إلـــــى اللـــــ ـــــــه وحـــــالي لديـــــه رأي العيـــــان

إن هـــــم يرضـــــيهم معيشـــــتي النكـــــ ـــــــداء فـــــلا خيـــــر فـــــي بقايـــــا الزمـــــان

فأجابه الشيخ أحمد بقوله :

اشـــــــرب الكـــــــأس دائمـــــــاً بالتهـــــــاني ... آمـــــن العـــــدم مـــــا جـــــرى الملـــــوان

واصـــــــطبح قهـــــــوة كحمـــــــرة صـــــــبح ... بعـــــــد هـــــــزم الكـــــــرى قبيـــــــل الأذان

بنـــــــت بـــــــن لا بنـــــــت كـــــــرم حـــــــرام ... لـــــــم تـــــــذلل بعصـــــــرها فـــــــي الـــــــدنان

تجلـــــــب الأنـــــــس للفتـــــــى ويحلـــــــى ... دارس العمـــــــــــر حليـــــــــــة الولـــــــــدان

فاســـــع فـــــي طبخهـــــا وقـــــف لجلاهـــــا ... ثـــــم طـــــف للـــــوداع نحـــــو الحســـــان

واعتمـــــــر بالســـــــماع إن زمـــــــزم العـــــــو ... د وإيـــــــــاك خشـــــــــية الرهبـــــــــان

لاتكـــــــن للســـــــرور يومـــــــاً مضـــــــيعاً ... فـــــــــالفتى يســـــــــتفيته الفتيـــــــــان

وانتهـــــــب لـــــــذة الزمـــــــان فيـــــــا رب ... ســـــــرور نهبتـــــــه مـــــــن زمـــــــاني

إذ أنـــــــا والشـــــــباب فـــــــي العنفـــــــوان ... فـــــــي الهـــــــوى مـــــــن أكـــــــابر الفتيـــــــان

يـــــا خليلـــــي إذا تـــــذكرت مـــــا فـــــا ... ت ســـــعت مقلتـــــاي فـــــي الهمـــــلان

ليـــــت شـــــعري هـــــل رجعـــــة أرتجيهـــــا ... أم مضـــــى مثـــــل مـــــا مضـــــى القارظـــــان

أشـــــتكي للـــــذي برانـــــي دهـــــراً ... بـــــالهموم المـــــثقلات برانـــــي

أســـــهر العـــــين وابتلانـــــي بقيـــــدٍ ... منـــــع الرجـــــل ان تســـــير لشـــــاني

كلمـــــا رمـــــت نهضـــــة قـــــال:مهـــــلا ... لا تقـــــس أولاً قيـــــاس الثـــــواني

ليتـــــه إذ جفـــــا ولـــــم يـــــرع عهـــــدي ... لـــــم يكـــــن جالبـــــاً خـــــلاف الأمـــــاني

لارعـــــى الله صـــــاحباً لايراعـــــي ... ســـــالف الـــــود والعهـــــود المتـــــان

الجزء الرابع: قسوة الدهر

أرسل الشيخ البيتوشي هذه الأبيات إلى الشيخ أحمد، يشكو فيها قسوة الدهر :

هـــــــاج البـــــــرق أم نســـــــيم يمـــــــان ... أم حمـــــــام رفـــــــت علـــــــى الأغصـــــــان

يـــــــا حمـــــــام الأراك رفقـــــــاً بصـــــــب ... ذي فـــــــؤاد مـــــــن الجـــــــوى حـــــــران

يـــــــا حمـــــــام الأراك مـــــــا لـــــــي أرا ... كـــــــن تجـــــــاوبن فـــــــي ذرا الأفنـــــــان

أخمـــــــاص أنـــــــتن ظمـــــــأى ولا ينـــــــ ... ـــــــكر شـــــــكوى مـــــــن ظـــــــاميء خمصـــــــان؟

أم بطـــــــرتن إذ بشـــــــمتن يومـــــــا ... مـــــــن فـــــــروع مـــــــن البشـــــــام لـــــــدان؟

أم ذكـــــــرتن مألفـــــــا وغريـــــــب الـــــــ ... ـــــــد ار يشـــــــجوه تـــــــذكر الأوطـــــــان؟

أم ثكـــــــالى تنـــــــدبن والنـــــــدب فـــــــرض ... فـــــــي طريـــــــق الوفـــــــا علـــــــى الـــــــثكلان؟

غيـــــــر أنـــــــي رابنـــــــي جمـــــــود الأمـــــــاقي ... مـــــــع طـــــــول البكـــــــا وخضـــــــب البنـــــــان

إن بكيـــــــتن بائســـــــات شـــــــئون ... فـــــــدموعي ســـــــالت علـــــــى أردانـــــــي

إن شـــــــأني وشـــــــأنكن جميعـــــــا ... عنـــــــد أهـــــــل الهـــــــوى لمختلفـــــــان

بـــــــان لـــــــي أنكـــــــن عجـــــــم فـــــــلا تفـــــــ ... ـــــــرقن بـــــــين الســـــــرور والأحـــــــزان

ســـــــاعداني علـــــــى البكـــــــا ســـــــاعداني ... يـــــــا خليلـــــــي قبـــــــل أن تبكيـــــــاني

أوأعيـــــــرا جفنـــــــي جفنـــــــاً صـــــــحيحاً ... فلحـــــــاظي قريحـــــــة الأجفـــــــان

أو دعـــــــاني وودعـــــــاني وكفـــــــا ... عـــــــن ملامـــــــي وخليـــــــاني وشـــــــاني

أتلومـــــــانني ســـــــفاهاً وهـــــــل يســـــــ ... ـــــــمع صـــــــب ليســـــــت لـــــــه أذنـــــــان

فهـــــــو يصـــــــلى زفيـــــــره مـــــــا تبقـــــــى ... منـــــــه إلا عينـــــــان نضـــــــاختان

صـــــــرح الوجـــــــد بـــــــرح الهـــــــم فـــــــر الصـــــــ ... ـــــــبر قـــــــر الأســـــــى فـــــــلا تخـــــــذلاني

مـــــــن لمضـــــــنى رأى النجـــــــوم وحيـــــــداً ... مـــــــل حتـــــــى رثـــــــى لـــــــه الفرقـــــــدان

ظـــــن مـــــن طـــــول ليلـــــه أنهـــــا سمـــــ ... ـــــــرن أفلاكهـــــا عـــــن الـــــدوران

بـــــات يرمـــــي الســـــها بطـــــرف كليـــــل ... مـــــن ســـــهاد دامـــــي المـــــدامع وان

وبـــــد منـــــه فـــــوق كبـــــد جـــــريح ... ويـــــد مـــــدها إلـــــى الـــــرحمن

يســـــأل النجـــــع والشـــــفاء لـــــرب الـــــ ... ـــــجود والمجـــــد والمزايـــــا الحســـــان

خزرجـــــي النجـــــار فـــــرع بنـــــي النجـــــ ... ـــــار جـــــم الفخـــــار عـــــالي المبـــــاني

طيـــــب العـــــود واللحـــــا عريـــــق الـــــ ... ـــــعرق ســـــامي الغصـــــون حلـــــو المجـــــاني

أحمـــــد المرجتـــــى المفـــــدى أبـــــن عبـــــد اللـــــ ... ـــــه ذو الحلـــــم والحجـــــا والبيـــــان

ومكـــــان مـــــن المكانـــــة ســـــام ... بـــــات مـــــن دون نيلـــــه القمـــــران

ومســـــاع جميلـــــة دون مـــــن ... منـــــه يبغـــــي بهـــــا رضـــــا المنـــــان

رب ســـــهد يـــــراه كالشـــــهد فـــــي دفـــــ ... ـــــع ملـــــم عـــــن عـــــاجز لهفـــــان

تعبـــــت نفســـــه لكـــــي تســـــتريح النـــــ ... ـــــاس فـــــي حفـــــض عيشـــــة وأمـــــان

فهـــــو كالشـــــمعة الصـــــبور علـــــى النـــــ ... ـــــار لكيمـــــا تنيـــــر للنـــــدمان

ســـــود أقلامـــــه تضـــــيء ديـــــاجي ... أمـــــل الآملـــــين فـــــي الجريـــــان

أريحـــــي يهتـــــز عطفـــــاه للجـــــد ... وى اهتـــــزاز الخطـــــي عنـــــد الطعـــــان

كـــــم لـــــه فـــــي النـــــدى شـــــواهد صـــــدق ... مـــــن أيـــــاد بيضـــــن ســـــود الأمـــــاني

لـــــو حـــــوت كفـــــه نقـــــود الـــــدراري ... لحباهـــــا هـــــيلا بـــــلا ميـــــزان

ذو قـــــــواف يـــــــدخلن مـــــــن غيـــــــر إذن ... عنـــــــــــد إنشـــــــــادهن فـــــــــي الآذان

فهـــــي تســـــري مـــــن اللطافـــــة فـــــي الأر ... واح مســـــــــرى الأرواح فـــــــي الأبـــــــدان

رق معنـــــــاه مـــــــع جزالـــــــة لفـــــــظ ... رقـــــــة الخنـــــــدريس حشـــــــو الـــــــدنان

مالبيـــــــــــد لديـــــــــــه إلا بليـــــــــــد ... فـــــــي المعـــــــاني فمـــــــا بـــــــديع الزمـــــــان

صـــــادق القـــــول صـــــادق الفعـــــل عـــــف الســـــ ... هـــــد عـــــف الهجـــــود عـــــف اللســـــان

وبـــــــــه تمـــــــــت المكـــــــــارم طـــــــــرا ... مثـــــــل مـــــــا تمـــــــت القنـــــــا بالســـــــنان

يـــــــا أبـــــــا المكـــــــارم أبقـــــــاك مـــــــو ... لاك بقـــــــــــاء النســـــــــرين والســـــــــرطان

جـــــاءني مشـــــتكاك فـــــي ضـــــمن أبيـــــا ... ت حســـــــــان كلؤلـــــــــؤ أو جمـــــــــان

فهـــــي تفتـــــر عـــــن معـــــان كمـــــا افتـــــر ... عـــــن الطـــــل مبســـــم الأقحـــــوان

فعرانـــــي مـــــن العنـــــا مـــــا عرانـــــي ... ودهـــــاني مـــــن الأســـــى مـــــا دهـــــاني

إن رجـــــــلا تشـــــــكو أذاهـــــــا لأهـــــــل ... أن تفـــــــــدى بموضـــــــــع التيجـــــــان

هـــــزك الـــــدهر بالجفـــــاء ومـــــا هـــــز ... ســـــوى عطـــــف صـــــارم هنـــــدواني

أنـــــت تشـــــكو ولـــــيس يشـــــكو ســـــوى الـــــ ... ـــــفضل ومحـــــض الحجـــــا ولـــــب المعـــــاني

إن يكـــــن خانـــــك الزمـــــان فقـــــد خـــــا ... ن أبـــــــاك الصـــــــفي وســـــــط الجنـــــان

بعـــــد أن كـــــان فـــــي الفـــــراديس يختـــــا ... ل ســـــــرورا فـــــي الـــــروح والريحـــــان

لقـــــي البـــــؤس والعنـــــاء وســـــوء الـــــ ... ـــــعيش فـــــي دار ذلـــــة وامتهـــــان

مـــــا نجـــــا مـــــن أذاه نـــــوح نجـــــي اللـــــ ... ـــــه مـــــن قبـــــل آيـــــة الطوفـــــان

يتواصـــــون فيـــــه بـــــالهجر والهجـــــ ... ـــــر كمـــــا قـــــد ســـــمعت والشـــــنآن

والخليـــــل الخليـــــل أقحـــــم تلـــــك النـــــار كرهـــــا إذ جـــــاء بالتبيـــــان

فجـــــع الـــــدهر يوســـــفاً بأبيـــــه وأبـــــاه بيوســـــف الكنعـــــاني

كفـــت المقلتـــان فـــي الحـــزن مـــن هـــ ذا وذاك المبيـــــع بيـــــع الهـــــوان

يـــأت فـــي مصـــر برهـــة نـــائي الـــدا ر غريبـــاً فـــي قبضـــة الســـجان

بعـــد مـــا ذاق وحشـــة الجـــب والإيـــ ـــذاء والجـــور مـــن يـــد الإخـــوان

وبـــلاء الكلـــيم مـــا هـــو يتلـــى كـــبلاء المســـيح فـــي القـــرآن

ولنـــا فـــي الرســـول أســـوة خيـــر خـــاتم الرســـل ســـيد الأكـــوان

أخرجـــوه مـــن بطـــن مكـــة ظلمـــاً فبكـــى رحمـــة لـــه الأخشـــبان

ورمـــوا ثغـــره وشـــجوا جبينـــا منـــه مـــن بعـــض نـــوره النيـــران

إن ذا الـــدهر هكـــذا فتصـــبر صـــبر لا عـــاجز ولا متـــواني

أول العنكبـــوت أولـــى إذا مـــا أعضـــل الـــداء مـــن دوا لقمـــان

مـــن يـــرم صـــفو الحيـــاة دوامـــا خانـــه لا أبـــا لـــه الفتيـــان

إن شـــكوى الفتـــى إلـــى الـــدهر يومـــاً مثـــل شـــكوى الجـــريح للعقبـــان

رب يســـر أتـــاك مـــن بعـــد عســـر ورزايـــا تبـــدلت بالتهـــاني

دم شـــفاك الإلـــه موفـــور أجـــر فـــوق مـــا ترتجـــي مـــن الـــديان

فـــي ظـــلال مـــن المســـرات دان وأمـــان مـــن نائبـــات الزمـــان

أمـــا آن للـــدهر أن يســـتكين فتنجلـــي غمـــرة القلـــب الحـــزين

لقد ألانت مزن أحداثه ... صم الرواسي وأبى أن يلين

كم من هجين دمث مبركاً ... وحرة وجناء تشكو الوجين

وجاهل في منصب شامخ ... وعاقل في أسفل السافلين

وباتر أفنى شباه الصدا ... في خلق رهن الزوايا مهين

وهو إذا ما عبست أوجه ... أقران يوم الروع نعم القرين

وطالما كان مفدى من ... أبطال بالآباء ثم البنين

وفاتر الحد يرى حمله ... فخراً أثيلاً عاتق الدارعين

مصقل في خلل وشيت ... بعسجد محض ودر ثمين

يشقى به الكال من غير جد ... وى فهو كالإثم على الآثمين

عيش خزامى الحزن مص الثرى ... ومكرع الكلث ماء معين

وضيغم في الغاب يشكو الطوى ... وللثعالى شهوة المشتهين

قد عطلت شهادة الكف والخنصر ... في الحلى من المزدهين

يا لهف يبدو واو عمر وسدى ... وهمز بسم الله في المختفين

عاداني الدهر فلي مضجع ... أقض والمشرب ماء وطين

تقول ماذا الهم لي جارتي ... إني أراها في ضلال مبين

لا هم إلا هم ذي همة ... عالية يبلى بخف مهين

أسلمني أحفى الأخلاء بي ... وبح شمال أسلمتها اليمين

والمرء يلقى من الأقربين ... ماليس يلقاه من الأبعدين

رب طمـــــــوح الطـــــــرف صـــــــب يـــــــرى ... ممـــــــا جنـــــــت عينـــــــاه فـــــــي الســـــــاهرين

بقيـــــــت فـــــــي بيتـــــــي كالعضـــــــب فـــــــي ... قرابـــــــه لـــــــيس لـــــــه مـــــــن خـــــــدين

وبـــــــت مـــــــن بـــــــين المـــــــلا ضـــــــائعا ... كشـــــــمعة أوقـــــــدتها للعمـــــــين

لا ذنـــــــب لـــــــي إلا حجـــــــا يرتضـــــــى ... ولـــــــين أخـــــــلاق وجـــــــاش متـــــــين

فـــــــي نســـــــب كالـــــــذهب المنتقـــــــى ... مـــــــن كـــــــل قيـــــــل بالمعـــــــالي قمـــــــين

ســـــــمح بـــــــذات اليـــــــد لكنـــــــه ... بعرضـــــــه مهمـــــــا ترمـــــــه ضـــــــنين

يـــــــأوي طريـــــــد الـــــــدهر مـــــــنهم إلـــــــى ... عـــــــز منيـــــــع وقـــــــرار مكـــــــين

مـــــــآثر أورثهـــــــم جـــــــدهم ... مـــــــاء الســـــــماء العلـــــــم المســـــــتبين

أظـــــــن دهـــــــري ذاكـــــــراً مـــــــا جـــــــرى ... عليـــــــه مـــــــن أســـــــلافي الأقـــــــدمين

قـــــــد وســـــــموا إذ هـــــــو عبـــــــد لهـــــــم ... جبهتـــــــه فهـــــــو مـــــــن الحاقـــــــدين

يـــــــا دهـــــــر حتـــــــام التعـــــــامي أمـــــــا ... يكفيـــــــك أم لســـــــت مـــــــن المبصـــــــرين

أم لســـــــت تـــــــدري أننـــــــي جـــــــار خيـــــــ ... ـــــــر الموقـــــــدي النيـــــــران للمعتشـــــــين

صـــــــلب قنـــــــاة البـــــــاس للمعتـــــــدين ... رخـــــــو وكـــــــاء الكـــــــيس للمجتـــــــدين

أبـــــــر المعـــــــاني أحمـــــــد المرتجـــــــى الـــــــ ... ـــــــحبر الهمـــــــام الهبـــــــرزي الـــــــرزين

أصـــــــيد إمـــــــا جئتـــــــه تلقـــــــه ... أزهـــــــر كالبـــــــدر أغـــــــر الجبـــــــين

يفـــــــوح مـــــــن أعراقـــــــه المنتـــــــدى ... مـــــــا الآس والنـــــــرجس مـــــــا الياســـــــمين

و مقـــــــول كالصـــــــارم المنتضـــــــى ... مـــــــن جفنـــــــه أبـــــــيض عـــــــرض وديـــــــن

يغـــــــار للحـــــــق مطيعـــــــا لـــــــه ... لـــــذا تـــــراه فـــــي اشـــــتداد ولـــــين

رقـــــــت حواشـــــــي بـــــــرد أفكـــــــاره ... كمـــــــا بـــــــدا الضحضـــــــاح للنـــــــاظرين

كـــــأن أبكـــــار معانيـــــه فـــــي الألفـــــاظ ... حـــــور فـــــي الموشـــــاة عـــــين

دان لـــــه مـــــن كـــــل فخـــــر أبـــــي ... عـــــن غيـــــره مـــــا لـــــم تخلـــــه يبـــــين

ســـــــارت معاليـــــــه وأخلاقـــــــه ... كالمثـــــــل الســـــــائر فـــــــي العـــــــالمين

وإن تجاهلـــــــــت فأنصـــــــــار دينـــــــــ ... ـــــن الله مـــــن آبائـــــه الأكـــــرمين

هـــــم فوقـــــوا الـــــدين بصـــــدق اللقـــــا ... ء بعـــــد اعوجـــــاج مـــــن يـــــد الكـــــافرين

كـــــم مشـــــهد قـــــرت بـــــه أعـــــين الأمـــــلاك ... فـــــيهم جبرئيـــــل الأمـــــين

يتلـــــون بـــــالبيض وســـــمر القنـــــا ... رايـــــة طـــــه ســـــيد المرســـــلين

ســـــحب صـــــلاة وســـــلام علـــــى ... روضـــــة مثـــــواه همـــــت كـــــل حـــــين

يـــــا فـــــارس الأقـــــران والـــــنظم والـــــ ... ـــــمنثور بـــــل يـــــا كعبـــــة المعتقـــــين

هـــــل أتـــــاكم أننـــــي لـــــم أزل ... منـــــذ بنـــــتم حلـــــف الجـــــوى والحنـــــين

مـــــا ســـــاغ لـــــي بعـــــدكم بـــــارد ... ولا تلـــــذذت بأكـــــل الســـــمين

لا وصـــــفاء الـــــود فـــــيكم ووا ... ری زنـــــد شـــــوق فـــــي فـــــؤادي كمـــــين

مـــــا شـــــام جفنـــــي لكـــــم بارقـــــاً ... إلا وإنســـــاني مـــــن المـــــارقين

ولا تنســـــمت نســـــيم الصـــــبا ... إلا ومـــــن تـــــذكاركم لـــــي أنـــــين

فـــــدتك يـــــا نفـــــس نفســـــي ومـــــن ... أعـــــزى إلـــــيهم مـــــن كـــــرام الأبـــــين

متـــــى تـــــرى أيـــــنقكم عنـــــدنا ... يحـــــط مـــــن أكوارهـــــا والوضـــــين

ينفـــــــــرج الهـــــــــم وينفـــــــــك عـــــــــا ... ن بـــــــات فـــــــي كـــــــف البلايـــــــا رهـــــــين

دمـــــــت كمـــــــا شـــــــئت عمـــــــاد العـــــــلا ... عـــــــن غيـــــــر الـــــــدهر مـــــــن الآمنـــــــين

مخلـــــــدا صـــــــيتك دنيـــــــا وعقـــــــ ... ـــــــبى الفـــــــراديس مـــــــع الخالـــــــدين

فأجابه الشيخ أحمد بن عبدالله بهذه الأبيات:

لله أم الكـــــــــــــــرد أن أنجبـــــــــــــــت ... إذ نتجـــــــــت كـــــــــل حســـــــــام ســـــــــنين

أبـــــــدت لنـــــــا مـــــــن أفقهـــــــا كوكبـــــــا ... يضـــــــيء للســـــــارين والســـــــامرين

ذو فكـــــــرة عـــــــزت علـــــــى الأولـــــــين ... مـــــــن بهـــــــا الله علـــــــى الآخـــــــرين

ألفاظـــــــــه كالـــــــــدر لكنهـــــــــا ... مـــــــن بعـــــــدها عـــــــزت علـــــــى الطـــــــالبين

صـــــــارت لـــــــه معجـــــــزة أنبـــــــأت ... بالصـــــــدق والتصـــــــديق للكـــــــافرين

يـــــــا واحـــــــد الفضـــــــل وثـــــــاني الحيـــــــا ... وثالـــــــث القطبـــــــين حقـــــــا يقـــــــين

أبياتـــــــك الغـــــــر ســـــــبت مهجتـــــــي ... فكـــــــدت منهـــــــا أعلـــــــق الطـــــــائرين

كأنهـــــــا لمـــــــا تبـــــــدت عصـــــــا ... موســـــــى تلقـــــــى زخـــــــرف الســـــــاحرين

هـــــــذا هـــــــو الســـــــهل المنيـــــــع الـــــــذي ... يطـــــــرب مـــــــن يســـــــمو لعلـــــــم وديـــــــن

إن قلـــــــت: در فهـــــــو مـــــــن مـــــــالح ... وهـــــــذه مـــــــن مـــــــاء بحـــــــر معـــــــين

أو قلـــــــت: بـــــــل نظـــــــم درار أتـــــــت ... فـــــــي نســـــــق، خلـــــــت الـــــــدراري تبـــــــين

لـــــــيلاً، وتخفـــــــى أن أضـــــــا فجرهـــــــا ... ولـــــــيس فهـــــــا مـــــــن هـــــــدى للعمـــــــين

وهـــــــذه مصـــــــباح أفكارهـــــــا ... بـــــــاد وتهـــــــدي العمـــــــي والمبصـــــــرين

لا عيب فيها غير أن الورى ... تدارسوها كالكتاب المبين

يا ليت شعري ما الذي أغفل الد ... هر عن الأنجاب والفاضلين

عق به أم ليس يرضى سوى ... جهالة فهو من الجاهلين

ما كنت أدري قبل ذا أنه ... يشري الحصا الرخص بدر ثمين

تعسا له هلا تعالى إلى ... كل نجيب للمعالي يزين

أو صار عبدا لإمام يرى ... في كل فن قدوة المقتدين

الشيخ عبدالله كردي بيتوش ... الهمام بن الهمام الأمين

علامة الوقت فإحسانه ... قد وسم الطلاب وسم الجبين

إن كان ذو المال له نائل ... وقتا فهذا نيله كل حين

أو كان يمتاز به قنية ... فالعلم نعم المقتنى والخدين

شتان ما بينهما في العلا ... ولا يساوي المجتبى والهجين

العلم يبقى ذوه في رفعة ... والمال لا يبقى وذوه مهين

يا سيدا حاز المعالي فما ... له نظير في العلا أو قرين

لا ذنب للدهر فذا دأبه ... قدما على أهل المعالي ضنين

كالماء لا يعلوا الروابي وقد ... يتبع ما انحط من السافلين

وأنت أعلى منه قدرا لذا ... جاء منيبا ضارعا مستكين

والله والمختار حضا على ... قبول من جاء من التائبين

وخذ ثناء جاء من مدنف ... مشرد النوم حليف الأنين

طويـــــــل أشـــــــجان مديـــــــد الجـــــــوى بســـــــيط أحـــــــزان ســـــــريع الحنـــــــين

مشـــــــتت القلـــــــب معنـــــــى بـــــــرا ه الهـــــــم حتـــــــى لـــــــم تخلـــــــه يبـــــــين

نضـــــــاخة عينـــــــاه يـــــــا ويلـــــــه قـــــــد فـــــــارق الأصـــــــحاب والأقـــــــربين

طالبـــــــت نـــــــواه ليـــــــت عمـــــــر النـــــــوى عمـــــــر كـــــــراه منـــــــذ دهـــــــر أبـــــــين

قـــــــد قطـــــــع الوجـــــــد حشـــــــاه فمـــــــا تـــــــراه إلا فـــــــي عـــــــذاب مهـــــــين

يكفيـــــــه مـــــــا أشـــــــجاه فـــــــي دهـــــــره مـــــــن مقلـــــــة عبـــــــرى ودمـــــــع ســـــــخين

فأعـــــــذر وســـــــامح شـــــــاحباً عـــــــزه مـــــــن دهـــــــره هـــــــم يشـــــــيب الجنـــــــين

بقيـــــــت فـــــــي الـــــــدنيا ســـــــعيداً وفـــــــي أخـــــــراك مـــــــن أصـــــــحاب ذات اليمـــــــين

الجزء الخامس: ألغاز

لقد كان الشيخ البيتوشي محبا للألغاز، فهاهو هنا يسأل عن فاعل "نال" :

مـــــــذ أخبرتنـــــــي أنهـــــــا تهجـــــــر مـــــــن غيـــــــر ملـــــــل

مـــــــا نـــــــالني مـــــــن هجرهـــــــا لا والـــــــذي عـــــــز وجـــــــل

وكان أحياناً يشاركه الشيخ أحمد بن عبدالله، ومن ألغازه قوله:

أشـــــكو إلـــــى الـــــرحمن مـــــن عـــــاذل أذاب قلبـــــي كلمـــــا كلمـــــا

ألـــــح فـــــي العـــــذل ولـــــم يرعـــــو فـــــي عاشـــــق يبكـــــي الـــــدما فـــــي الـــــدمى

أقصـــــــر فلســـــــت بالمـــــــدعو لـــــــو نلـــــــت مـــــــا أصـــــــغي ورب الســـــــما

فيقال لسامعها: أين مفعول نلت؟

وقال فيما جمعه بألف وتاء:

ما جمعه بألف مع تاء ... خمسة أشياء بلا امتراء

ذو تاء تأنيث بغير جنسه ... وعلم التأنيث واسم جنسه

ما لم يكن "فعلى" له " فعلان" ... أو "أفعل" فافهم لك الإحسان

مثاله صحراء وما له يلي ... وصف مذكر لغير عاقل

تصغيره كذا وتم قيلي ... نص على ذلك في "التسهيل"

وله في المواضع التي تكون الياء فيها للتنبيه والمواضع التي يحذف فيها المنادى:

وإن يلي "يا" ليت، رب، حبذا ... تكن لتنبيه فلا تعدل بذا

وقبل أمر احذف المنادى ... كيا اسجدوا لمن برى العبادا

كذاك من قبل الدعاء عزلا ... كيا اسلمي يا دار مي على البلى

"ويا" النداء الزم في كلا الحالين ... فحذفها يحظر في هاتين

الجزء السادس: مقدمة كتاب صرف العناية بشرح الكفاية

هذه قصيدة للشيخ البيتوشي، ذكرها في مقدمة كتابه الذي شرح به منظومته لحروف المعاني المسمى "صرف العناية بشرح الكفاية":

فقلت: يا شوق ألست تدري ... ما أنا فيه من جفاء الدهر

وهل ترى لحلة المعاني ... من لابس في هذه الأزمان

ولا يرون النظم إلا عظما ... وليس فيهم من إليه يظما

فلا تسمني خطة الإذلال ... ولا تدعني ضحكة الجهال

فقـــــال لـــــي: وأيـــــن أنـــــت مـــــن ســـــري ... راقـــــي مراقـــــي ســـــؤدد ومفخـــــر

يلعـــــب بالألبـــــاب فـــــي البيـــــان ... تلعـــــب النســـــيم بالأغصـــــان

ولـــــن تـــــرى فـــــي الفضـــــل مثلـــــه فتـــــى ... قلـــــد منـــــه الـــــدهر عضـــــبا مصـــــلتا

يفـــــوح مـــــن ذكـــــر شـــــذاه المحفـــــل ... ماالمســـــك مـــــا لامنـــــدل مـــــا القرنفـــــل؟!

فقلـــــت: صـــــرح لـــــي واتـــــرك الكنـــــى ... ففكرتـــــي فـــــي صـــــدإ مـــــن العنـــــا

فقـــــال لـــــي: أدى بـــــك الـــــدهر إلـــــى ... أن ادعيـــــت جهـــــل فضـــــل ابـــــن حـــــلا

ذاك ابـــــن عبـــــدالله أحمـــــد العـــــلا ... مـــــن امتطـــــى مطـــــي المعـــــالي فـــــاعتلا

قـــــد شـــــهدت بفضـــــله الحســـــاد ... وذللـــــت لعـــــزه الآســـــاد

ذو نســـــب كـــــالعلم المنصـــــوب ... والـــــرمح أنبـــــوب علـــــى أنبـــــوب

نمتـــــه أشـــــراف مـــــن الأنصـــــار ... إلـــــى ذوي بيـــــت بنـــــي النجـــــار

فقلـــــت: والله لقـــــد ذكرتنـــــي ... مـــــن كنـــــت قـــــدما بهـــــواه معتنـــــي

وهـــــو الـــــذي علمنـــــي الآدابـــــا ... والبحـــــث والســـــؤال والجوابـــــا

وطالمـــــا كنـــــا كغصـــــني بـــــان ... لكـــــن نمـــــا وزدت فـــــي النقصـــــان

القسم الثالث: قصيدة للشيخ حسين بن مبارك القطيفي

هذه أبيات للأديب الشيخ حسين بن مبارك نزيل القطيف، يمدح فيها الشيخ أحمد بن عبدالله، ويشكو إليه تقلب الدهر وأحواله:

تـــــنفس الصـــــبح والأنفـــــاس فـــــي لهـــــب ... منـــــي، وقـــــد ســـــح دمـــــع العـــــين بالســـــحب

فـــــي ليلـــــة طـــــاب شـــــجوي فـــــي دياجرهـــــا ... لقـــــل طـــــول يـــــدي مـــــا كـــــان مـــــن أربـــــي

دعنـــــي خليلـــــي، فمـــــا همـــــي هـــــوى دعـــــة ... ولا لفـــــــوت وصـــــــال الفتيـــــــة العـــــــرب

وإنمـــــا هـــــيج الشـــــكوى، وهـــــد قـــــوى الـــــ ... ـــــصبر الجميـــــل، وأضـــــحى الـــــروح بالوصـــــب

دهـــــر أذل الـــــرؤوس الصـــــيد مـــــن ضـــــعة ... وأصـــــعد الســـــوقة الأذنـــــاب فـــــي الرتـــــب

ومللـــــك الأســـــد ضـــــبان الفجـــــاج كمـــــا ... فـــــي البـــــيض ســـــود ســـــود النـــــوب بـــــالنوب

وأرشـــــف السلســـــل الصـــــافي أراذلـــــه ... والقـــــادة الغـــــر أســـــقى الصـــــاب بالوصـــــب

مـــــا كـــــان ذا غيـــــر أنـــــي قـــــد طويـــــت علـــــى الـــــ ... ـــــتقوى حشـــــا، ووقيـــــت الـــــدين مـــــن عطـــــب

والقـــــوم بـــــاعوا بـــــدنيا الغيـــــر ديـــــنهم ... واســـــتعقبوا حـــــذر العقبـــــى ورا العقـــــب

ذاك الـــــذي دك طـــــودي عـــــن تطـــــاولهم ... واجتـــــاح طـــــولي، وأدنـــــي دونهـــــم طلبـــــي

واســـــبق الشـــــروط منـــــي خطـــــو ضـــــبطهم ... ولـــــيس عـــــن ســـــبق حســـــن كـــــان أو حســـــب

فكيـــــف يســـــبق فـــــي المضـــــمار جـــــود نضـــــى ... جرذانهـــــا فـــــي مـــــدى عـــــدو وفـــــي خبـــــب

أم كيـــــف تـــــولى بغـــــاث للطيـــــر ســـــلطنة ... علـــــى البـــــزاة، ويرخـــــى الـــــرأس للـــــذنب

وكيـــــف يجتـــــاز فـــــي البيـــــداء يرمعهـــــا ... فخـــــرا يفـــــوق ســـــناه لامـــــع الشـــــهب

وكيـــــف لا، والزمـــــان الخســـــف رب عمـــــ ... ـــــى فلـــــم يميـــــز بـــــين التـــــين والعنـــــب

والـــــدهر زاغ، فـــــولى آلـــــه وحبـــــا ... وآذن الرشـــــد، حيـــــث الرشـــــد بـــــالحرب

والوقت قد سفهت أخلاقه فعلا الـ ... ـسفاه، وانحط أهل الفضل والأدب

هذا الذي أذهل الألباب من دهش ... وقطع النفس والأنفاس من كرب

فلا معين على هذا الزمان وما ... أعدى علينا من الإعلال والتعب

ولانصير، ولا ملجا يصون سوى ... نتيجة النجب من أنصار خير نبي

مولى ملا ساحة الآفاق فيض ندى ... ففاق كل سخي في الندى وأب

وماجد ورث الأحساب كابرها ... عن كابر، وحواها حرث مكتسب

أسلافه في العلى أقمار هالتها ... لكنها الدهر لم تنقص، ولم تغب

ذاك الهزبر بن عبدالله، أحمد من ... حاز المحامد من مجد ومن حسب

نمته من عصب الأنصار أطولها ... باعاً إلى الفخر من خال أب وأب

بهم علا قائم التوحيد واتضحت ... أنهاجه بالعوالي السمر والقضب

وفضله كمل الماضي، وزاد بما ... لا يستطاع من الآتي لمنتخب

وكيف لا وهو المرجو نائله ... والمختشى البطش في رعب وفي زغب

مديد مجد، طويل الصيت وافره ... بسيط خلق بجود غير مقتضب

إيضاح مشكلها، كشاف معضلها ... تبيان خافي معاني غامض الكتب

كعب السماح إياس الفهم حاتمها ... في الجود سبحان حول النظم والخطب

فيا ملاذ بني الآمال إن دهمت ... جلى الحوادث في جد ولي لعب

ويا محط رجا اللاجي الضعيف عنا ... من كل هول من الأهوال مرتهب

عطفاً علينا بعين منك ناظرة ... ما نحن فيه من الأشجان والسخب

مـــــن معشـــــر مـــــا رعـــــوا فينـــــا معاشـــــرة ... ظلمـــــاً، ومـــــا ارتقبـــــوا حقـــــاً لمرتقـــــب

بـــــل أيقنـــــوا أن فينـــــا الظلـــــم معدلـــــة ... والـــــزور والبهـــــت فينـــــا أقـــــرب القـــــرب

وأنـــــت أنـــــت المرّجـــــى فـــــي الخطـــــوب ومـــــا ... نخشـــــاه مـــــن تعـــــب يـــــدرى ومـــــن عتـــــب

فـــــلا تـــــزال بـــــه كهفـــــاً نلـــــوذ بـــــه ... فـــــي حـــــادث شـــــيب الأحـــــداث مـــــن كـــــأب

فـــــلا برحـــــت لنـــــا غوثـــــا وغيـــــث نـــــدى ... وناصـــــراً حيـــــث عـــــز النصـــــر مـــــن عصـــــب

واســـــلم ودم مـــــا تغنـــــى بـــــالعتيق علـــــى ... الأغصـــــان ســـــاجعة فـــــي الـــــدوح مـــــن طـــــرب

هـــــذا ونقـــــري ســـــلاماً لا يـــــزال وإن ... زال الزمـــــان بمنهـــــل ومنســـــكب

عليـــــك ثـــــم ســـــلام والرفـــــاق، ومـــــن ... يليـــــك مـــــن غيـــــر أحبـــــاب ومـــــن صـــــحب

أزكـــــى الســـــلام، وأوفـــــى الحمـــــد مـــــا صـــــدحت ... ورق، ومـــــا افتـــــر ثغـــــر الكـــــأس مـــــن حبـــــب